دور يهود المغرب في تجارة تيندوف خلال القرنين 19 و20م من خلال وثائق أهل العبد

الدكتور بريك الله حبيب
المركز الجامعي تندوف

ليس من قبيل المبالغة القول بأن مدينة تيندوف قد شهدت طفرة نوعية في النشاط التجاري والمبادلات الاقتصادية خلال القرن التاسع عشر نتجت عنها حركية تجارية واجتماعية وثقافية لا مثيل لها بالمدينة والتي أثرت بشكل كبير على علاقاتها الخارجية من الناحية التجارية والاجتماعية والثقافية وحتى السياسية والتي أثمرت بدورها عن مجموعة من النتائج السلبية والإيجابية على المدينة.

إن ما يمكن قوله من خلاله هاته الدراسة المتواضعة وما استطعنا الوصول إليه من استنتاجات واستنباطات من خلال تصفح ما أمكن تصفحه من المصادر والمراجع التي اعتنت بهذه الجزئية التي تتمحور حول النشاط التجاري والمبادلات الاقتصادية من خلال دور يهود المغرب في تجارة تيندوف خلال القرنين 19 و20م من خلال وثائق أهل العبد التي كانت تمارسها مع قبيلة تجكانت بمدينة تيندوف منذ قرون خلت من خلال تجارة القوافل التي كانت تربطها بالمغرب الأقصى وبلاد السودان الغربي عبر المسالك الرابطة بين تيندوف والصويرة وتيندوف وتينبكتو، والدور الفعال لتجار المينة من خلال قبيلة تجكانت لهو أكبر دليل على أن المدينة عاشت فترة من الزمن في بحبوحة اقتصادية بفضل تجارة القوافل الصحراوية.

ولعل ازدهار النشاط والمبادلات التجارية الذي عرفته المدينة خلال القرنين 19 و20م كان مصدرا مهما من مصادر التطور الاقتصادي والسلوك والثقافي والعلمي للمدينة، إذ لم تكن القوافل تحمل سلعا تجارية فحسب، بل كانت إلى جانب ذلك تنشر أفكارا ومعتقدات وتغير أنماط وتأتي بأخرى، وتجلب معها وسائل وإمكانات جديدة على المجتمع بشكل أو بآخر، وتصحح أفكارا وتنشر أخرى، وتؤثر سلبا أو إيجابا على الحضارات، ونتيجة لازدهار هذه التجارة ظهرت شبكة من مدن القوافل على امتداد المسالك الصحراوية المؤدية إلى بلاد المغرب وغيرها من البلاد الصحراوية الأخرى.

لقد كانت هاته القوافل بالإضافة إلى ممارستها للنشاط التجاري وتوسيعها للحركة التجارية بالمدينة وضواحيها، في أمس الحاجة إلى فئة بشرية عليمة بأحوال وظروف الصحراء، إذ بها تقوم بمهام أخرى إلى جانب التجارة، كرسم معالم طريق القوافل، واستطلاع أحوال المسالك التجارية، واستخبار طلائع القوافل القادمة من السودان الغربي وإرشاد القوافل التجارية في الطرق والمسالك الصحراوية الصعبة لمعرفتهم التامة بمواطن الماء والكلأ، ومعرفتهم كذلك بأقرب الممرات والمنعرجات المختصرة وإرشادها بين الطريق الرابط بين سوس والصويرة ومدن السودان الغربي المتثلة في تغازة، تودني، أروان وتينبكتو مرورا بالمحطة التجارية الكبرى ألا وهي مدينة بتيندوف، أو على المسلك الآخر الرابط بين مدينة تيندوف وتينبكتو مرورا بتبلبالة، توات، تانزروت، مبروك، ثم قاو فتينبكتو، أو على المسلك الآخر الرابط كذلك بين مدينة تيندوف وتينبكتو مرورا بموريتانيا على المحطات التالية : وادي الذهب، إدجيل، تيشيت، ثم ولاته وصولا إلى تينبكتو بالسودان الغربي، وذلك بوضعهم أمنير[1] على حوافي الطرق والمسالك، وأخيرا وهو المهم حماية القوافل التجارية الصحراوية وإبعادها عن أماكن الخطر، وقد كانت هذه العادة معروفة بين سكان الصحراء منذ القدم[2].

وتدل كل هاته القرائن التاريخية على أن قبيلة تجكانت[3] وما حوته من مخزون أرشيفي من وثائق محلية ومخطوطات نفيسة ونوازل في فن التجارة ووثائق تتمثل في عقود البيع والشراء والمقايضة واستطلاع أحوال السوق والسلع وغيرها من المصادر الأرشيفية الأخرى بخزانة أهل العبد بتيندوف يعد أرض خصبة نحو كتابة التاريخ الاقتصادي والثقافي والاجتماعي والسياسي للمدينة ولما لا مناطق الصحراء الكبرى الأخرى التي كانت لها علاقة مباشرة مع المدينة.

وقد وقع اختياري على هذا الموضوع والبحث في هذه الجزئية المعينة والتي تصب حول دور يهود المغرب في تجارة تيندوف خلال القرن 12- 13هـ/ 19- 20م من خلال الاعتماد على وثائق أسرة أهل العبد المحلية لعدة أسباب نجملها في نقاط كالتالي:

- الوقوف على احدى الظواهر الأساسية التي لم يعرفها تاريخ مدينة تيندوف في القرون السابقةإلا من خلال القرنين التاسع عشر والعشرين والتي تتجسد في التبادل التجاري مع يهود المغرب.

- قلة وانعدام البحوث حول تاريخ التجارة بالمدينة والتي لم يقع التطرق إليها ودراستها من قبل الباحثين على المستوى الجامعي بما يستحق العناية والإهتمام لاسيما فيما يتعلق أو له صلة بالقرنين التاسع عشر والعشرين.
- توفر المادة العلمية حول هذه الجزئية من خلال الوثائق المحلية بمدينة تيندوف.
- انعدام الأبحاث والدراسات في هذه الجزئية بالذات إلا ما وجدناه مكتوب من خلال بعض الدراسات التي قام بها الرحالة الأروبيون وضباط الاستدمار الفرنسي وغيرهم في وصف الجوء العام لبعض الأحداث والوقائع التجارية، والكل يعي الدسائس والمغالطات التي تندس في كتاباتهم وتأريخهم.
- إعطاء المدينة وأهلها القليل من الاهتمام التاريخي والعلمي.
- العمل على إبراز أهمية البحث في الوثيقة الأرشيفية التاريخية وإعطائها الحيز العلمي الذي يليق بها كونها تعتبر مصدرا تاريخيا وعلميا مهما من مصادر الكتابات التاريخية المتنوعة.
- العمل على إظهار القيمة التاريخية والثقافية والحركية التجارية التي تميزت بها مدينة تيندوف خلال القرنين 19 و20م.
- رد نوع من الجميل لمن أفنوا أعمارهم من أجل أن يصلنا هذا الكم الوفير والإرث التاريخي الضخم وذلك في التأريخ لهم وذكر أمجادهم.

لقد كان اعتمادنا في بحثنا هذا على أهم وأفيد الوثائق المحلية لأسرة أهل العبد الجكنية بتيندوف والمحفوظة باحدى أهم وأضخم الخزائن المتواجدة بالمدينة والتي تعتبر محطة التقاء التجار والعلماء وغيرهم لكونها كانت دارا كبيرة لأهل العبد يقصدها الجميع من تجار وعلماء وطلبة للعلم وعابري السبيل وأصحاب الحاجة والفقراء والرحالة وغيرهم من أصناف الناس.

وتحوي هذه الدار الكثير والعديد من الوثائق والمخطوطات التي تفوق وتناهز المئات وبالتقريب تصل إلى 600 وثيقة ومخطوط متعددة المواضيع، وإن كانت كلها أو أغلبها يصب في العلاقات التجارية بين مدينة تيندوف والمغرب محل البحث والدراسة، كما نجد بعضها يتحدث ويصف العلاقات والنشاط التجاري بين مدينة تيندوف وبلاد السودان الغربي.

هذه الوثائق السالفة الذكر تتمثل في عقود البيع، والمقايضة والشراء وعقود الدين وإبراء الدمم، والمراسلات الاخوانية، ووثائق التوكيل، ومراسلات استطلاع أحوال الأسواق، واستخبار أحوال السلع، والنوازل الفقهية في مواضيع التجارة وغيرها، وطلب إفاد معلمي القرآن، وعقود تجارية منوعة مبرومة مع اليهود خاصة... وغيرها من المواضيع والدلائل التاريخية الأخرى التي ترسم الإطار التاريخي والعلمي والمنهجي للبحث.

إن التعامل مع هذه الوثائق والدلائل التاريخية المحلية ليس بالأمر السهل أو الهين، كونه يحتاج من الباحث إلى دراية واسعة بتاريخ المنطقة الاجتماعي والثقافي، ومعرفة لسان حال المدينة، حيث نجد أن معظم الوثائق أو لنقل جلها والتي سوف يعتمد عليها الباحث في دراسته والتي تحتاج منه إلى تحليل معلوماتها، والكشف عن مضموناتها، واستخراج خباياها، قد كتبت ونسخت باللهجة الحسانية المحلية، والتي تحوي وتضم الكثير من المصطلحات والألفاظ الغريبة عن اللغة الفصحى، وكوني ابن هذه المدينة وسليل ثقافتها سهل علي الكثير من الصعاب، وذلل عني العديد من العقبات ولله الحمد نحو استخراج المادة العلمية الوفيرة من هذه الوثائق الدسمة بالمعلومات النفيسة، والتي تعد أرضا خصبة نحو كتابة تاريخ المدينة الاقتصادي والاجتماعي والثقافي حيث أن الخزانة لم تضم فقط الوثائق الخاصة بالنشاط التجاري والجانب الاقتصادي بل تعداه لعدة مواضيع مختلفة في شتى فنون المعرفة الأخرى ومن هذا المنطلق أوضحنا إمكانية كتابة تاريخ المنطقة الاجتماعي والثقافي.

إن التعامل مع الوثائق المحلية كشفت لنا العديد من المعلومات المهمة عن تاريخ المدينة وحركيتها التجارية والعلمية والثقافية، وأنها كانت مركزا حضاريا وتجاريا لا يستهان به في مناطق الصحراء الكبرى وذلك بفضل فطنة أهلها واحترافيتهم العالية في مجال النشاط التجاري والحركية العلمية ونبوغهم في مجال التعاملات الاقتصادية مع غيرهم من الأمم والشعوب الأخرى وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن تاريخ المدينة يمتد إلى فترة موغلة من التاريخ القديم.

إن الحديث عن الوثائق المحلية محل الدراسة والبحث يجرنا بالضرورة إلى الحديث عن مكان تواجدها وحفظها، حيث نجد أنها محفوظة في خزانة أهل العبد في دويريتهم بحي الرماضين في ظروف أقل ما يقال عنها أنها لا تليق بهذا الإرث

العلمي والثقافي الضخم، كونها تحتاج إلى يد متخصصة تعي كيفية التعامل مع الوثيقة من الناحية العلمية ومن الناحية الكوديكولوجية - أي دراسة الوثيقة كمادة محضة-.

غير أننا وجدناها مصنفة حسب نوع الوثيقة كونها وثيقة تجارية متعلقة بتجارة أسرة أهل العبد الجكنية أو متعلقة بتجارة الكنتي بن المختار بن الصالح الشانعي الجكني، أو بوثائق أسرة آل بريك الله الشانعية الجكنية، أو وثائق تجارة أسرة آل بيروك التكني بالسودان الغربي، أوثائق أسرة آل بلعمش المرابطية الجكنية، أو وثائق تجارية متنوعة تتحدث عن النشاط التجاري بمناطق أخرى تواجدت في خزانة أهل العبد من خلال الأمانات أو مراسلات الاستعلام أو رحلات الوثائق كما هو الشأن في رحلات المخطوط.

وقد لعبت التجارة دورا بارزا ومهما في ربط العلاقات والصلات وتحديد طابعها بين هذه المراكز الصحراوية، والمراكز التجارية، والمدن العتيقة، طوال العصرين الحديث والمعاصر، حتى قضى عليها الأوروبيين جميعا أوائل القرن العشرين واحدة تلو الأخرى، وقد جاب الرحالة، والجوالون المسلمون، والمستكشفون الأوربيون، والتجار، وغيرهم الصحراء الكبرى طولا وعرضا خلال العصر الحديث، وتعرفوا حينها على أوضاع هذه الدول، وظروفها السياسية والحضارية وسجلوا ذلك في كتبهم، ورحلاتهم، ووثائقهم ومساجلاتهم فكيف كانت آراءهم وانطباعاتهم حول ذلك؟

وإشكاليتنا في هذا البحث تصب في جزئية مهمة لم تنل قسطا من الأهمية والبحث من ذي قبل وتتمثل في النشاط التجاري والمبادلات الاقتصادية بين يهود المغرب وتجار المدينة من خلال وثائق تتمثل في عقود بيع بالدين أو عقود توكيل أو مقايضات في تجارة تيندوف خلال القرنين 19 و20م من خلال وثائق أهل العبد وأهمية التجارة في ربط العلاقات ما بين مدينة تيندوف والمغرب من خلال النهضة التجارية والنشاط الاقتصادي الذي كان يغلب على الطابع العام لهاتين الجهتين، ومن خلال مجموعة من النقاط كان لا بد من التطرق إليها لكي يزول الغموض والريب حول تاريخ هذه العلاقات والدور الجلي الذي لعبته في وقت من الأوقات، ولكي يتعرف الباحث الجزائري وغيره على تنوع وثراء تاريخ جزء لا يتجزء من بلاد جزائرنا الغالية، وعليه فسوف تتمحور نقاط الدراسة فيما يلي:

السؤال عن دور يهود المغرب من خلال علاقاتهم التجارية بتجار المدينة من أمثال التاجرين الكنتي بن المختار بن الصالح الشانعي عبد الله[4] بن محمد العبد المسعودي الجكني، ماهية السلع والبضائع التي شهدت هذه المبادلات التجارية؟

- دور يهود المغرب في النشاط التجاري بأسواق تيندوف :

كان لليهود دور كبير في تنشيط الحركة التجارية بتيندوف عبر تجارة القوافل، وقد تصاعد هذا النشاط خلال القرنين 19 و20م من خلال سيطرتهم على حركة الموانئ المغربية نتيجة انخراطهم للاستفادة من المخطط الأوروبي التوسعي الذي سعى للسيطرة على التجارة المغربية الداخلية بأسواق المغرب والخارجية والتي تتمثل في المبادلات التجارية مع مدينة تيندوف.

ولقد عرفت أسواق مدينة تيندوف وتجارتها تواجد العنصر اليهودي في التعاملات التجارية والاقتصادية من خلال المراسلات الاستطلاعية لأحوال التجارة، ووثائق استخبار أحوال السلع والبضائع، ومن خلال عقود الوكالات وعقود البيع بالدين، ولأن اليهود مغرمون بالكسب وتحقيق مزيد من الأرباح، فقد لعبوا دورا فعالا في العلاقات التجارية ما بين تيندوف والمغرب.

وقد خالط يهود المغرب كبار تجار تيندوف واكتسبوا ثقتهم، ثم اشتهروا بترويج بعض البضائع الخاصة لهم سواء منها المستوردة أو القابلة للتصدير، وخاصة المواد الغذائية ولا سيما المستوردة منها من أوروبا عن طريق موانئ الصويرة وطرفاية ووادي درعة مثل السكر والشاي، وكذلك الأثواب من الكتان، و "الخنط"، والشمع والفضة، أو المجلوبة من الصحراء والبلدان الإفريقية عن طريق تيندوف مثل الذهب، وريش النعام، والعاج، والعنبر، والعلك[5]، أو المواد المحلية الصنع (بالمغرب) مثل الزيت، شمع النحل، والحبوب، واللوز[6].

وكانت لهم تجارة كبيرة بالقياس مع التجار المسلمين، إذ كانوا يمتلكون الإبل يكترون سواقها الذين يدعون "إرفاكن"، فكانوا يقومون بدور الوسيط سواء مع التجار الوافدين من المغرب نحو تيندوف أو مع تجار القوافل الواردين من الصحراء وبلدان افريقيا نحو أسواق[7] المغرب عبر تيندوف.

يوجد عدد لابأس به من الوثائق المحلية التي عثرنا عليها تتحدث عن العلاقة التجارية بين تجار تيندوف وتجار يهود الصويرة نظرا لأن الصويرة كانت من أكبر الموانئ المعروفة بالنشاط التجاري المتفوق في المغرب حيث كانوا يوجهون سائر

السلع الأجنبية المستوردة إلى أكادير ثم سوس فتارودانت[8] وصولا إلى كليميم ومنها إلى تيندوف.

لم تكن الصويرة وحدها مركزا للتجار اليهود الذين لهم تعاملات تجارية مع تيندوف بل نجد كذلك كل من تزونين[9] وتارودانت وواد نون[10] حاضرين في وثائق التجارة المحلية لمدينة تيندوف.

وسوف نستعرض بعض نصوص الوثائق التي تثبت العلاقة التجارية بين يهود المغرب وتجار تيندوف ودورهم في تفعيل النشاط التجاري والجانب الاقتصادي بالمدينة.

لقد اشتهرت الصويرة [11] كما أسسلفنا من ذي قبل بتواجد اليهود الذين كانت لهم شهرة واسعة في ميدان صناعة النقود، ونظرا لأنهم مغرمون بالكسب وتحقيق مزيد من الأرباح فقد لعبوا دورا فعالا في تجارة المغرب الداخلية والخارجية.

وقد وجدنا بعض الوثائق بخزانة أسرة أهل العبد تشير إلى التواجد اليهودي[12] التجاري بين مدينة تيندوف والمغرب وافريقيا الغربية وسوف نستعرض أهم بعض الوثائق المحلية المتنوعة في مضامينها بنوع من التحليل والتفصيل:

- وثيقة التوكيل من يهودي للتاجر الكنتي:

لقد تداولت في الوثائق المحلية لتجارة أهل العبد وثائق التوكيل فمنها وثيقة تنص على توكيل اليهودي إلياء للكنتي بن المختار بن الصالح الشانعي ليجمع له ما ترك حماد أوعل في أزواد من ماله المتروك بها.

نص الوثيقة [13]:

الحمد لله وحده صلى الله على من لا نبي بعده هذا وليعلم من نظره أني أيها الكاتب المتمي بعد أشهدني اليهودي إلياء[14] أنه وكل واستناب مناب نفسه[15] الكنت بن المختار بن الصالح على أخذ ماله من متروك حماد واعل[16] في الساحل[17] وكالة تامة عامة جامعة لّإنواع التوكيل لا تدع فرع أصل من وصوله[18] ولا أصل فصل من فصوله في عشرين من رمضان من عام 1304[19] عبيد ربه الغني به محمد الرحم[20] بن محمد الخليل كان الله لنا ولوالدينا وللمسلمين آمين آمين آمين.

- الموكل: وهو اليهودي إلياء.

- الموكل إليه : الكنتي بن المختار بن الصالح الشانعي.
- نوع الوكالة: وهي جمع مال متروك وتحصيله.
- مكان تنفيد الوكالة: الساحل، (أزواد)، (السودان الغربي).
- تاريخ نسخ الوكالة: 1304هـ/ 1887م.
- مكان كتابة الوكالة: تيندوف.
- اسم ناسخ الوكالة: محمد الرحم بن محمد الخليل.

تدل الوثيقة على الثقة الزائدة التي تعامل بها اليهودي المغربي إلياء مع التاجر الكنتي بن المختار بن الصالح الشانعي وفيه دلالة على أن العلاقة القوية التي كانت تجمع الشريكين في مجال التجارة والمال.

- وثيقة بيع بالدين:

والوثيقة مؤرخة بتاريخ :1307هـ/ 1890م، وتبرز عقد بيع بالدين بذمة اليهودي أبراه بن إلياء بن الحزاي يعقوب من يهود تزروالت[21] مفاده: 25 ريالا للتاجر الكنتي بن المختار بن الصالح الشانعي رأس مالها: 5 أطراف من الخنط.

نص الوثيقة [22]:

ثبت بذمة ومال الذمي[23] أبراه بن إلياء بن الحزاي يعقوب من يهود تزروالت خمسة وعشرين ريالا[24] لماسكه الكنتي بن المختار بن الصالح رأس مالها خمسة أطراف من الخنط، والأجل بينهما ستة أشهر، ووقع الرسم في أواخر جمادى الأول عام 1307هـ[25]، عبيد ربه المختار بن سيد أحمد بن ويس أمنه الله.

- البائع: الكنتي بن المختار بن الصالح الشانعي.
- الشاري: اليهودي أبراه بن إلياء بن الحزاي يعقوب.
- السلعة: خمسة أطراف من الخنط.
- الثمن: 25 ريال.
- مدة القضاء: 6 أشهر
- تاريخ عقد البيع: أواخر جمادى الأول عام 1307هـ
- مكان قضاء الدين: غير وارد.
- اسم ناسخ العقد: المختار بن سيد أحمد بن ويس.

- وثيقة بيع ووساطة :

الوثيقة بتاريخ: 1319هـ/ 1901م.

تبرز طلب اعلام بمجموع الحساب ووضعية السلعة التي بعثها أحد تجار المغرب للتاجر عبد الله ولد العبد الجكني على يد أحد يهود الصويرة حيث أن اليهودة عادة ما يلعبون دور الوسيط في التجارة لمعرفتهم التامة بأساليب الوساطة وشؤونها.

نص الوثيقة [26]:

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم على سيدنا محمد صاحبنا وحبيبنا سيد عبد الله بن العبد بن الحرطاني سلام عليك ورحمة الله وبركاته بوجود مولانا نصره الله[27]، وبعد سلم مني على أخيك محمد البشير وسلم على الحبيب وكذلك أحمد محمود وعلى إخوانك جميعا وأبنائك بارك الله في الجميع.

وبعد كتبنا لك كتابنا على يد صاحبنا عال بن العريب وقال أنك بوادي درعة[28]، والآن يا سيد نريد من الله ثم منك أن تعرف لي الحساب[29] الذي عندك مع حامل الكتاب صاحبنا مشان الذمي[30]، وأن تصرف لي حساب التاجر ربن[31]، ولا بد ولا بد لا حل أنه قلل عرضي بالرقاسيس كل سبع[32]، وأنت تعرف أني لم أكل ولم أشرب في هذه الجرة إنما لأجل خاطرك وخاطر القائد دحمان[33].

وكلفت نفسي بهذه الحاجة وتعرف أني صرت إليك إلى تزنين[34]، وأحضرت مائة وأربعين ريالا في المصروف والكروات[35] وسمونن[36]، الذين صاروا معي لأجل الخوف في طرقات[37]، وأنت قلت لي موسم أسرير[38]، وهذا...[39] تفاصلني في هذا الحساب، وكتبت ذلك لرب المال ربن، فإذا بهم لم يظهر شيئا، والعلك الذي قلت لي تصرف مع ادحيمين[40] بن بريك فإني لم أره ولم أقبضه، والآن نحب من الله ثم منك أن تصرف لي حساب مع مال التاجر ربن، لأني غلت به نفسي[41]، وأعطيته خط يد هو قونس[42]، ولم يعلم بالسلطان من باب أحرى الغير.

واليوم لا أقبل منك عذرا سواء أيا كان لأن صار لي لهذا سنة ماضية، ولم أقد[43] أن أصلها إن لم أتيه بحسابه خوفا منه.

واليوم ضيف الله لم أبع معك ولم أشتر معك، قيمة الشعير سلفته لك ثلاث سنين لم أقبض رأس مالي فيه من باب حرى بالفضل لأنا قلنا نحن أن خاطرك أفضل عندنا من المال، والفضل وغير ذلك والدراهم الذين أعطيت محاج محماد إذ

- 254 - آيت ا سعيد غير الحسني الخنش[44] بحضور عبد الوهاب واسمه الأفراني، وبحضور الناس كلهم.

أما الريش وقع فيه فساد كبير[45] لم يسو[46] درهما واحدا أكتب لي لمن أعطيه، لأني دللته في الصويرة[47] فلم يسو لي شيئا.

وقنطارا الجيد الذي فيه ستين رطلا من العبار[48] وأربعين من الكحال صرفتها لبني النصراى أسوات[49] مأتين وأربعين ريالا حسني.

وأما تحكجاكت[50] مع الكحال الذي بقى في الدار لم يسوى فلسا كله موكول[51]، وربنا يخلف عليك يا سيد إن أردت يأتيك لواد نون[52] فاعلمني يأتيك، وإن قلت لي أن أصرفه لأخيك بالصويرة فاعلمني، لأن لا بيع فيه لأجل فساده، والآن فإن حسابي يصلك في طي كتاب القائد دحمان، حتى بقى عندك في حسابي أنا ثلاثة عشر مائة ريال وأربع وثلاثين رايلا زابيل[53]، ومكنها[54] بوصول الكتاب مع صاحبنا[55] مشان، والعلك ها[56] حسابه في الكتاب لأني بعته لك بأربعة عشر ريالا حسني للقنطار[57]، والآن لم يسو حتى عشر ريالات، ها خمسة عشر حملا لدحيمين في أصويرة[58] لم يسو إلا عشرة ريالات للقنطار.

وحساب التاجر ربن ثلاث وعشرين مائة ريال وثمان وستين ريالا حسني[59] أصرفها حتى هي مع مشان مع ابن اعلي معيوف[60] وخطى بيدك دفعناه للقائد دحمان كما كتب لك بخط يده واصرف لي ما قبضت في أمانة التاجر ربن، وكل هذا بخط يدك وأنت...، في الأمانة وغيرها والخير وأجميل صاحبي لا يتماطل لأجل عيدنا قرب ولا بد وإياك وأنا كنت قادما بنفسي والقائد هو الذي قال لي تهنى[61] أصرف غير صاحبك فإنه يقضي لك الغرض[62] إن شاء الله ونريد منك أن تقف مع...[63] وتصرفه معي كمثل نفسك من جهة سيد محمد البشير أخيك إن قدم واعلمني هل قبض ما في رسم[64] بن الحاج عبد العزيز أم لا.

وما جعل في ذلك وأنبائل[65] الذهب الذي كتب لك عليهم مع الحروز[66] أصرفهم بارك الله فيك لا بد منهم، واصرف لي عشرة كركيان[67] من الذهب أربع كبار وستة صغار وإلا ما وجد، والآن كل ما كتبنا لك لم نقبل فيه عذر لأن الناس حزموا[68] علينا وبغوا[69] أمالهم[70] واليوم لا تعذبت حتى لهناك[71]، وعلى المحبة والسلام في 12 من شوال عام 1319هـ[72]، مسعود بن هدان بن سان العديري عيشه الله ءآمين.

- صاحب الوثيقة: مسعود بن هدان بن سان العديري.
- المرسل إليه: عبد الله بن محمد العبد بن الحرطاني.
- الموضوع: طلب اعلام بمجموع الحساب ووضعية السلعة التي بعثها أحد تجار المغرب للتاجر عبد الله ولد العبد الجكني على يد أحد يهود الصويرة.
- السلع: العلك، ريش النعام، الذهب، الشعير.
- النقود المذكورة في الوثيقة: ريال زابيل، ريال الحسني.
- تاريخ عقد البيع: 12 من شوال عام 1319هـ.
- الإطار المكاني: وادي درعة، واد نون، الصويرة، تزونين.

الخلاصة:

لقد عرفت مدينة تيندوف خلال القرنين 19 و20م تجارة رائدة بين أسواقها وأسواق السودان الغربي على اختلاف شعوبه وأجناسه، مما أنتج حركية تجارية واجتماعية وثقافية واسعة مست مختلف أنواع مناحي الحياة الاقتصادية والتجارية والثقافية والعلمية بشكل واضح وجلي، ووصلت هذه الحركية للجهة الشمالية من القارة الافريقية نحو المغرب على اختلاف مله ونحله كذلك، فكانت بذلك تيندوف من أكبر المحطات والمراكز التجارية في تلك الجهة التي لعبت دورا هاما في ربط هذه العلاقات التجارية بين شمال وغرب القارة الافريقية.

إن مدينة تيندوف التي لم تكن خلال العصور الوسطى سوى احدى المحطات التجارية التي تتوقف بها القوافل من أجل التزود بالماء الشروب خلال رحلاتها نحو بلاد المغرب الأقصى وحتى السودان الغربي، أصبحت في القرنين التاسع عشر والعشرين من أكبر المراكز التجارية التي تشرف على تجارة العبور بين الإقليمين الشمالي والغربي بل حتى بين القارتين الإفريقية والأروبية بفضل موقعها الاستراتيجي وبفضل حكمة ودور أهلها في التحكم في زمام التجارة وأحوالها والذين استطاعوا أن يكونوا شركات تجارية لها وكلاؤها وعملائها في بلدان غرب افريقيا والدول المجاورة لها ومدن المغرب الأقصى وأحوازها وهذا كله جاء نتيجة الخبرة الكبيرة والدبلوماسية التجارية العالية التي كان يتمتع بها أهلها.

إن كل ما استطعنا الوصول إليه من استنتاجات واستنباطات ونتائج من خلال هاته الدراسة والبحث الذي لم نبخل فيه أي جهد، رغم قلة وشح المصادر والمراجع التي تتحدث عن الجزئيات الكاملة المتعقلة بالموضوع هو أن مدينة

تيندوف الموغلة في أعماق الصحراء الجنوبية الغربية الجزائرية كانت تشهد خلال القرنين 19 و20م نهضة اقتصادية وتجارية وثقافية لا مثيل لها، أولنقل في جميع مجالات الحياة المتكاملة وذلك بفضل علاقاتها التجارية مع مدن وحواضر شمال القارة الإفريقية والمتمثلة في المغرب الأقصى.

إن ما يمكن استخلاصه واستنتاجه من خلال هذه الدراسة المتواضعة التي تطرقنا فيها إلى دور يهود المغرب في تجارة تيندوف خلال القرنين 19 و20م من خلال علاقتهم بكبار تجار المدينة عن طريق تجارة القوافل التجارية التي ربطت الصحراء الجزائرية بالمغرب الأقصى لهو أكبر دليل على أن المدينة قد شهدت في فترة ماضية من القرون السابقة حركية تجارية واقتصادية لا مثل لها استطاع بفضلها طاقم من التجار المحليين أن يكونوا مصدرا لمداخيل هامة للمدينة وأن ينشؤا مركزا هاما من مراكز التجارة الصحراوية وأن تنسج من خلالها الكثير من العلاقات في مشتى مناحي الحياة.

هذه النهضة الاقتصادية والتجارية أطلت بظلالها على جميع مناحي الحياة في تيندوف آنذاك مما ساعد على اجتناب الكثير من المظاهر الإجتماعية والانسانية السيئة كالأوبئة والأمراض والمجاعات، والفقر وغيرها بفضل المواد والسلعة التي كانت تجلب من كلتا الجهتين الجهة الغربية كمدن السودان الغربي والجهة الشمالية كمدن المغرب الأقصى، وقد ساعدت أيضا هذه النهضة الاقتصادية والعلاقات التجارية في تبادل العلوم والمعرفة وتوعية الناس ورفع مستوى التعلم بين أفراد المجتمع بفضل الكتب والمخطوطات وجموع العلماء وطلبة العلم ومريدي الطرق الصوفية الذين كان لهم نصيبا وافر من المكوث بالمدينة طلبا للعلم أو رغبة في نشره.

إن كل هذه المعطيات تدلنا في الأخير إلى اليقين بأن مدن الجنوب الغربي الجزائري لم تكن بمنئ عن الظروف التي كانت سائدة في الجزائر عامة وإنما كانت تشهد ما يشهده القطر الجزائري من حركية تجارية وعلمية وعلاقات خارجية، وكذلك ما كانت تشهده من مآسي وحروب وخلافات ونزاعات بل كانت تساير جميع الأحداث والوقائع السلبية والايجابية منها.

ورغم قلة المصادر والمراجع التي واجهتنا كما أسلفنا من قبل لإنجاز هذا البحث إلا أننا ندعوا من خلال هذه الدراسة المتواضعة إلى تكثيف الجهود وتوجيه

الباحثين نحو كتابة تاريخ الصحراء الجزائرية وإعطائها نوع من الاهتمام العلمي والمعرفي من أجل حصر شساعة مساحتها في شساعة تاريخها العريق، وهذا لا يتأتى إلا بالبحث والتنقيب في وثائقها الأرشيفية ومخطوطاتها النفيسة وشهداتها أهلها الأشاوس وكل هذه المعطيات تعد أرضا خصبة نحو كتابة تاريخ جزء لا يتجزأ من أرض الجزائر الغالية.

هذا وفي الأخير لابد من الإشارة إلى أن البحث في هذه الجزئية لا زال يحتاج منا إلى الكثير من العمل والتنقيب والإضافة والجهد من أجل إثراءه وتثمينه، فإن وجد الخطأ فذلك ذأبنا، وإن وفقنا فمن مِنَنِ الله العلي الكبير علينا والحمد لله رب العالمين.

وثيقة:ك/ 12

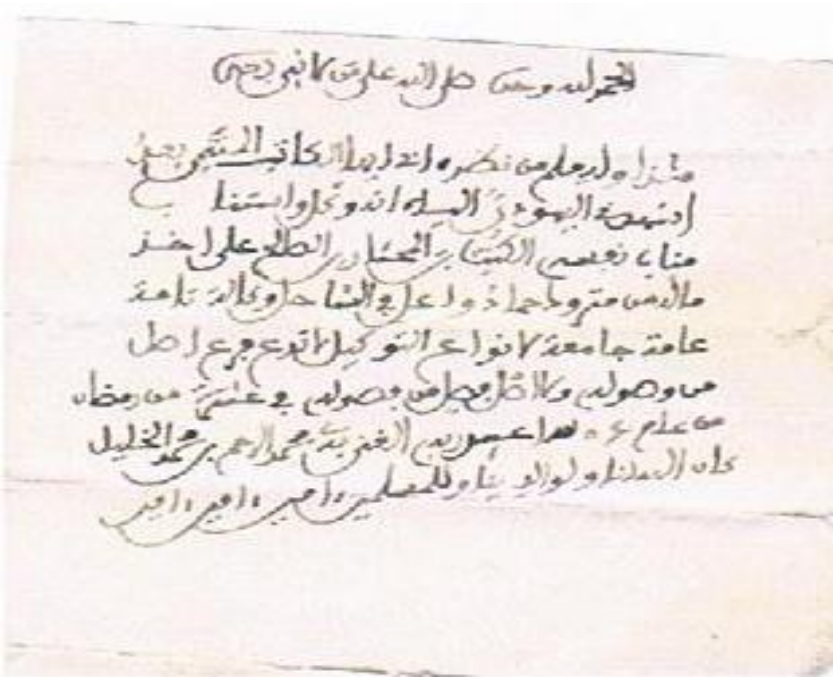

وثيقة بتاريخ: 1304هـ/ 1887م

تبرز عقد وكالة من اليهودي إلياء للتاجر الكنتي بن المختار بن الصالح الشانعي ليجلب له ماله مما ترك حمادواعل في الساحل أي (أزواد)

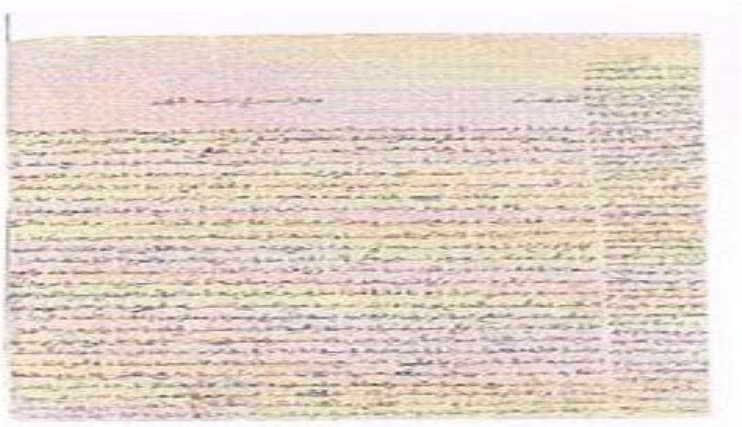

وثيقة بتاريخ: 1319هـ/ 1872م

تبرز طلب اعلام بمجموع الحساب ووضعية السلعة التي بعثها أحد تجار المغرب للتاجر عبد الله ولد العبد الجكني على يد أحد يهود الصويرة

وثيقة ك/ 12

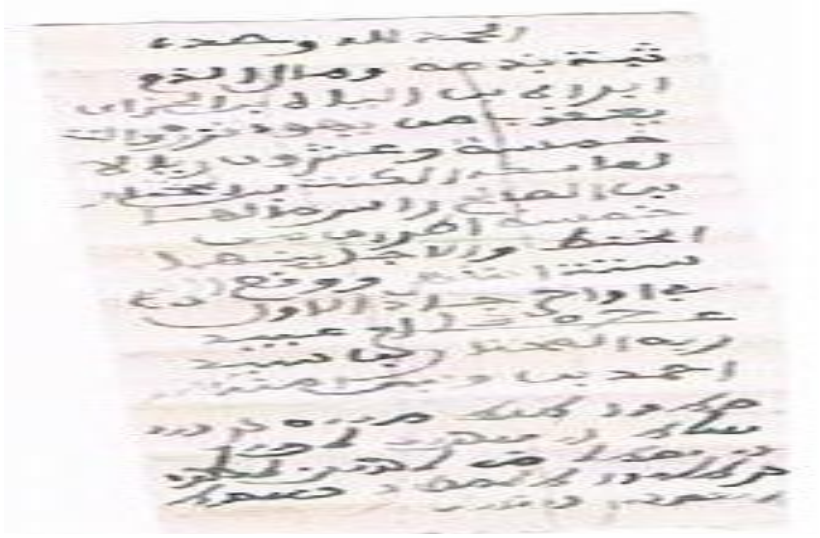

وثيقة بتاريخ: 1307هـ/ 1890م

تبرز عقد بيع بالدين بذمة اليهودي أبراه بن إلياء بن الحزان يعقوب من يهود تزروالت مفاده: 25 ريالا للتاجر الكنتي بن المختار بن الصالح الشانعي رأس مالها: 5 أطراف من الخنط

(الوثيقة منسوخة كذلك بالعبرية كما هو واضح)

الهوامش:

(1) وهي علامات مادية توضع على الطريق ليسهل على القوافل معرفة المسلك والاتجاه الذي يريدونه.

(2) أنظر: ماجدة كريمي، العلاقات التجارية بالمغرب والسودان في العصر المريني 668-759هـ/ 1229-1358م، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، الرباط، جامعة محمد الخامس، 1987-1988، ص: 75-79 .

(3) للمزيد من التفصيل عن قبلة تجكانت انظر: خير الدين الزركلي، الأعلام ج6، ص: 154.

(4) أنظر ترجمتهما في: تيندوف وتجكانت تاريخا وبظولات ومناقب،ج:2، ص: 202.

(5) انظر: رياض زاهر ، الممالك الإسلامية في غرب افريقيا وأثرها في تجارة الذهب عبر الصحراء الكبرى، ص: 146.

(6) يمكنك الاستفادة من لائحة كاملة لذه المواد من سجل الديوانة بمرسى الصويرة رقم 120 بالخزانة الحسنية بالرباط.

(7) للمزيد من التفصيل انظر: يحيى بوعزيز، تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين، ص:47.

(8) تارودانت: مدينة أزلية قديمة عرفت من خلال الكتابات القديمة باسم (VALA)، راجع JACQUES-MEUNIE .(D), le maroc saharien, op.cit,I.p.276

(9) من مدن الجنوب المغربي عرفت بعلاقاتها التجارية بمدينة تيندوف.

(10) انظر: أحمد بومزكو، واد نون من خلال وثائق دار إيليغ، الصحراء وسوس من خلال الوثائق والمخطوطات (ندوة) منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، رقم:96، ص: 48.

(11) أنظر: رشيد الحسين، الأعلام الجغرافية والهوية، الأعلام الأمازيغية بالصحراء وموريطانيا، ص: 93

(12) للمزيد من التفصيل أنظر: محمد المختار السوسي، كتاب المعسول، ج:8، ص: 529.

(13) انظر الوثيقة رقم: ك/ 12.

(14) دليل على تواجد اليهود من خلال التجارة في تلك المناطق في الفترة محل الدراسة.

(15) وكالة لجمع المال الباقي.

(16) أصلها : أعلي أو علي.

(17) أي : بلاد أزواد ومالي، هكذا يرمز لها في اللهجة الحسانية بتيندوف.

(18) أصلها : أصوله.

(19) الوثيقة مؤرخة بالميلادي عام: 1887م.

(20) هكذا ثبتت في النص.

(21) احدى مدن الصحراء المغربية.

(22) انظر الوثيقة رقم: ك/ 19.

(23) أي: من أهل الذمة اليهود.

(24) للمزيد من التفصيل حول العملات التي كانت رائجة آنذاك بالمغرب وبأسواق تيندوف، أنظر: دانيال أوسطاش، تاريخ النقود الإسلامية وموازينها في المشرق وبلاد المغارب من البدايات الأولى إلى الآن، ترجمة محمد معتصم، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ص: 86.

(25) الوثيقة مؤرخة بالميلادي عام: 1890م.

(26) انظر الوثيقة رقم:ع/ 08.

(27) يقصد السلطان مولاي عبد العزيز إبان فترة حكمه للمغرب.

(28) من أقاليم المغرب.

(29) أي: أن تعلمني بقيمة الحساب الذي بيننا.

(30) اليهودي: مشان.

(31) أي: أن تبعث لي بقيمة حساب التاجر اليهودي ربن.

(32) جملة لم أستطع فهمها ولعل بالعبرية باللفظ العربي.

(33) قائد إقاليم الجنوب المغربي وقت السلطان مولاي عبد العزيز وقد ورد ذكره في نوازل الفقيه محمد يحيى بن محمد المختار الولاتي الشنقيطي بتيندوف، أنظر محمد يحيى بن محمد المختار الولاتي الشنقيطي، رحلة الولاتي من تيندوف إلى ولاتة جزءا خاصا من الرحلة الحجازية، تحقيق الأستاذ: بريك الله حبيب، ص:62.

(34) والصحيح: تزونين وهي احدى مدن المغرب.

(35) لم استطع تحديد معناها.

(36) لم استطع تحديد معناها.

(37) دلالة على وجود بعض مظاهر الحرابة وقطع الطريق.

(38) وهي احدى المواسم السنوية التي تقام بها التجارة بالمغرب، انظر: عمر آفا، التجارة المغربية في القرن التاسع عشر. البنيات والتحولات (1830-1912م).

(39) كلمة مبهمة.

(40) اسم علم بمعنى دحمان أو عبد الرحمن.

(41) أي: أصبحت مغلول العنق من كثرة الدين.

(42) لم استطع تحديد معناها.

(43) والصحيح: لم أقدر.

(44) لم استطع تحديد معناها.

(45) أي: أن مادة الريش فسدت ولم تعد تصلح للتجارة.

(46) أي: أن سعره زهيد.

(47) أي: قمت بعرضه للبيع بالصويرة وهي احدى مدن المغرب المعروفة بالتجارة انظر تعريفها في محلها.

(48) أي من ريش النعام.

(49) أي: وصل سعرها.

(50) لفظة لم نستطع تحديد معناها.

(51) أي لم يبقى منه شيئا نافع

(52) احدى أقاليم المغرب.

(53) للمزيد من التفصيل عن العملة أنظر: عمر آفا، مسألة النقود في تاريخ المغرب في القرن التاسع عشر (سوس 1822-1906م)، ص: 325.

(54) أي: سلمها.

(55) أي: أن صاحب العقد هو كذلك يهودي الأصل.

(56) والصحيح: ها هو.

(57) الواضح أن سعر قنطار العلك في المغرب كان يساوي في هذه الفترة حوالي من 10 إلى 14 ريال حسني.

(58) أي: الصويرة.

(59) للمزيد من التفصيل عن العملة أنظر : عمر آفا، مسألة النقود في تاريخ المغرب في القرن التاسع عشر (سوس 1822-1906م)، ص: 309.

(60) من الأسماء اليهودية المشهورة.

(61)أي: اطمئن.

(62) أي: يقضي لك حاجتك.

(63) كلمة مبهمة.

(64) أي: عقد.

(65) ولعل المقصود بها: سبائك.

(66) وهو مصطلح مغربي يعني: نوع من الحلي.

(67) كلمة لم استطع تحديد معناها

(68) أي: عزموا.

(69) أي: أرادوا وطلبوا مالهم.

(70) والصحيح: أموالهم.

(71) لم أتبين معنى اللفظة.

(72) الوثيقة مؤرخة بالميلادي عام: 1900م.